ثلاث لبنانيات في روايتهن المشتركة «وتحقق الأمل»

هيفاء ولبنى وندى: المرأة لا تحب بجسدها

حاورهن: صلاح مطر

أن تكتب امرأةٌ روايةً فهذا أمر شائع، وأن تكتب امرأتان قصةً فهذا ممكن وإن كان نادراً، لكن أن تشترك ثلاث نساء لا تحترف إحداهن الكتابة في تأليف رواية، فإن ذلك ما يحدث للمرة الأولى في تاريخ الكتابة النسائية في الوطن العربي، وربما في العالم، بعيداً عما يُسمّى «القصة التفاعلية» التي يبدؤها كاتب ويكملها غيره.

وأقرب مثال على ذلك ما نُشر قبل أيام عن اكتشاف قصة عنوانها «على البلاج» في مصر؛ اشترك في كتابتها الأديب العالمي نجيب محفوظ وصالح جودت وعبدالحميد جودة السحار في خمسينيات القرن الماضي، لكن الجديد الذي نتحدث عنه هو رواية «وتحقق الأمل» لثلاث لبنانيات هن: هيفاء العرب وندى شحادة معوض وهما مهندستان، ولبنى نويهض وتعمل مثقّفة أطفال، إضافة إلى عملها مديرة تسويق في دار للطباعة والنشر. والجديد كذلك في هذه الرواية هو الطريقة التي أُنجزت بها، والتي شرحتها ندى معوض في لقاء «الصدى» بها.. تقول: بدايةً، نحن لسنا كاتبات، وهذه أول مرة تجرب إحدانا الكتابة، وهذه ليست رواية متخيلة، بل قصة واقعية وضع القدر بطلتها في طريقنا؛ حيث ندرس ثلاثتنا في معهد علوم «الإيزوتيريك» – علم الوعي الإنساني – في بيروت الذي قوّى لدينا القدرة على التعبير وعزز لدينا الإحساس بالجمال.. هناك قدم إلينا الدكتور جوزيف مجدلاني مؤسس المعهد وصاحب فكرة القصة بطلتها لينا، وهذا الاسم وغيره أسماء مستعارة بناءً على رغبتها؛ نظراً إلى الاعترافات الخطيرة والصريحة الواردة في الرواية على لسانها، والتي أوصتنا بسبب جرأتها بألا ننشرها إلا بعد وفاتها، وكان لها ما أرادت.. كانت امرأة في خريف العمر، تشي ملامحها بجمال غابر وأنوثة طاغية مع ثقة بالنفس وكبرياء وأناقة واضحة، لكن نظراتها كانت غارقة في الحزن. عقدنا معها جلسات «اعترافية» مطولة في دارها الفخمة التي لا تؤنس وحدتها فيها إلا صورتان: واحدة لزوجها المتوفى والأخرى لابنها. روت لنا فيها كيف غرقت في طيشها، حتى قابلت الإنسان الذي أحبته بوعيها، فانتشلها من ضياعها، وظل هذا الحب حياً في أعماقها على الرغم من رحيل حبيبها.

وإلى جانب ما كانت ترويه أطلعتنا لينا على مذكراتها التي دونت فيها بإيجاز رحلة التيه في حياتها، لكنها طلبت عدم ذكر أي شيء يتعلق بأهلها، ونفذنا رغبتها احتراماً لخصوصيتها، لا سيما وقد صارت في دار البقاء. أما عن كيفية إنجاز الرواية فقالت ندى: كتبت كل منا بمفردها القصة كاملة، ثم قرأت ما كتبته الأخريان، ثم دمجنا الكتابات الثلاث في نسخة واحدة بعد قراءة كل الفصول فصلاً فصلاً في ما يشبه ورشة عمل مكثفة، ثم أعادت كل منا قراءة النسخة النهائية بعد الدمج والتنقيح، وهذا استغرق منا ثلاث سنوات كاملة، وطُبعت الرواية هذا العام ضمن «منشورات أصدقاء المعرفة البيضاء».

الأمل الذي تحقق

قلت لهيفاء العرب عبر الهاتف؛ إذ لم تتمكن من الحضور مع ندى: إن عنوان الرواية «وتحقق الأمل» عنوان تقليدي، أو هو في الحقيقة أكاديمي مدرسي لا يشد القارئ إليها، وإنه كان يُفضّل تغييره. فقالت: فوجئت بعد نشر الرواية باتصالات ورسائل إلكترونية كثيرة تسأل «ما هذا الأمل الذي تحقق؟»، وأرى أن العبرة بمضمون الرواية التي حققت بطلتها أملها أخيراً؛ وهو الحب الذي ظلت تبحث عنه طوال حياتها، لقد أحبها البطل بكل متناقضاتها، وهو طبيب نفساني متخصص في الحالات العاطفية. أحب كل منهما الآخر بوعيه، وليس بقلبه ولا بجسده فقط. وأضافت ندى: الرواية رسالة موجهة من البطلة إلى كل النساء، حيث يمكن لكل امرأة أن ترى في نفسها شيئاً من لينا، على الرغم من اختلاف تفاصيل حياة كل منهن عن الأخرى، والبطلة تقدم فيها خبرتها بكثير من الجرأة (وصفتها هيفاء بأنها جرأة دافئة وليست فضائحية، لأنها تعرية فكر لا تعرية جسد) مؤمنةً بأن كل إنسان يخطئ، لكن هناك من يتمادى في الخطأ، وهناك من يلوم الظروف، وهناك من تكون لديه إرادة التغيير، وهو ما فعلته لينا، وكان وراء هذه الإرادة وجود الهدف؛ وهو الحب الذي يشمله إطار أوسع هو الوعي.

رسالة إلى الرجل

وقالت هيفاء العرب: هي أيضاً رسالة إلى كل رجل بأن يكون حبه للمرأة واعياً، مبنياً على المشاركة المطلقة والتضحية من أجل الآخر وفهمه والوقوف إلى جانبه في لحظات ضعفه؛ فالبطل «كابر» انتشل لينا من بئر ضياعها العميقة من دون هدف شخصي. لقد أسرتْه في البداية بصفتها «حالة»، ثم بصفتها امرأة في حاجة إلى الحب، وهو يؤمن بأن الحب ليس بحاجة إلى الإنسان بقدر ما

يكون الإنسان هو الذي بحاجة إليه، فلما وُجد الحب الواعي لم يعد من الصعب عليها أن تعري فكرها أمامه؛ حيث إن المرأة لا تحب بجسدها (من العبارات الجميلة الواردة بالرواية «كل امرأة وحيدة في لحظة لذتها هي أيضاً وحيدة في حزنها وقلقها») وتعرية الجسد سهلة، ربما تحدث حتى من دون وجود الحب، أما تعرية الفكر فتتطلب مستوى عالياً من الصدق، وأن يخلق كل طرف مساحة تغيير في نفس شريكه، يكون محورها فكرياً، حتى إذا تغيرت المشاعر– وهي من صفتها التقلب– رجع الإنسان إلى هذا المحور.

لا مكان للغيرة

على غلاف الرواية كُتبت أسماء الكاتبات بهذا الترتيب: هيفاء، لبنى، ندى.. سألت الأخيرة: هل اختلفتن على ترتيب الأسماء؟ وهل لاحظتِ وجود الغيرة بينكن في لحظة ما؟ فقالت: في العمل الجماعي تتحرك «الأنا»، لكننا نجحنا في التغلب عليها بفضل منهجية التفكير التي عملنا بها، والتي كان أساسها أن تحقق الرواية الهدف من نشرها وليس النجاح الشخصي، ونحن لا ندّعي المثالية، إلا أن «الفسيفساء» الجميلة التي جمعتنا على اختلافنا أسهمت في التغلب على أي خلاف بسيط حدث بيننا.

بعد النجاح الذي حققته الرواية تلقت كاتباتها ثلاثة عروض لتحويلها إلى فيلم سينمائي، لكنهن– كما قالت ندى– يدرسن الأمر قبل أن يقبلن أحد هذه العروض؛ مخافة ألا يتم توصيل الفكرة جيداً ويتم التركيز فقط على الجانب الحسي وليس الفكري في اعترافات البطلة.. وقالت لبنى نويهض في اتصال قصير بها في لبنان: هناك صديق ضليع في اللغتين العربية والإنكليزية قرأ الرواية وأحبها، وعرض علينا أن يترجمها. وأضافت: الرواية تعلمنا ألا نحكم على الآخرين ونتتبع أخطاءهم، بل علينا أن نتعلم من هذه الأخطاء، فأنت عندما تحكم على الآخر تعطيه الفرصة للحكم عليك. وعن الجرأة الواردة في الرواية قالت: إن الصراحة هي التي تخلق التفاهم المتبادل بين الحبيبين، حيث يبوح كل منهما بما لا يمكن البوح به عادةً. ■

سنكرر التجربة.. لمَ لا؟

بعد الحوار استضافتنا الزميلة هدى حرقوص بمكتبها، حيث سألت ندى: هل من الممكن أن تكررن مستقبلاً تجربة كتابة رواية أخرى مشتركة، أم تتوقعين أن تدب الخلافات بينكن– كأي فريق عمل في أي مجال– لا سيما إذا تحققت لكن شهرة أكبر؟ فأجابت ندى: الاحتمال وارد، خصوصاً أن تجربة «وتحقق الأمل» كانت ممتعة جداً، وأننا تعلمنا من علم الإيزوتيريك الذي ندرسه معاً فن الإصغاء إلى الآخر. أما عن الخلافات التي يمكن أن تدب بيننا في حال اشتهرنا أكثر، فنتمنى ألا تحدث، وإن لم يكن هناك مانع من أن تكتب كل منا رواية مستقلة. ■

ندى معوض تتصفح الرواية